المحاضرة الأولى

الفصل الأول

تعريف الإسلام

يمكن تعريف الاسلام بتعاريف كثيرة منها :

التعريف الأول

٤ – في حديث جبريل عليه السلام ، حيث جاء بهيئة اعرابي ، يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع الحاضرون ويتعلموا امور دينهم ، جاء في هذا الحديث : « فاخبرني عن الاسلام » فقال صلى الله عليه وسلم: « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » . فالاسلام هو ما جاء في هذا الحديث وسيأتي شرحه فيما بعد .

التعريف الثاني

٥ – الاسلام هو الخضوع والاستسلام والانقياد لله رب العالمين ، ويشترط فيه أن يكون اختيارياً لا قسرياً ، لأن الخضوع القسري لله رب العالمين أي لسننه الكونية امر عام بالنسبة لجميع المخلوقات ، ولا ثواب فيه ولا عقاب قال تعالى : « **أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون** »(١) فكل مخلوق خاضع لله ولسننه في وجوده وبقائه وفنائه ، والانسان كغيره من المخلوقات في هذا الخضوع القسري . أما الخضوع الاختياري لله رب العالمين فهذا هو جوهر الاسلام المطالب به الانسان وعليه يكون الثواب والعقاب ، ومظهره الانقياد التام لشرع الله بتمام الرضى والقبول ، وبلا قيد ولا شرط ولاتعقيب ،ومن ثم كان الاسلام بهذا المعنى هو دين الله المرضي عنده ، واوحى به إلى

---

(١) سورة آل عمران/الآية ٨٣

رسله الكرام وبلغوه إلى الناس، قال تعالى : **((إن الدين عند الله الاسلام))**(٢) **((ومن يبتغ غير الاسلام ديناًفلن يقبل منهوهو في الآخرة من الخاسرين))**(٣) **((ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور))**(٤) **((ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وانتم مسلمون . ام كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيموإسماعيل وإسحاقإلهاً واحداً ونحن له مسلمون))**(٥).

٦ – ثم خص لفظ « الاسلام » بالدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وبالانقياد التام له بلا قيد ولا شرط ، وبهذا الانقياد يظهر خضوع الانسان لله رب العالمين خضوعاً اختيارياً وهو جوهر الاسلام كما قلنا . وبهذا المعنى الخاص للاسلام جاء قوله تعالى : **((اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً))**(٦) وعلى هذا يكون تعريف الاسلام بمعناه الخاص وهو المطلوب عند اطلاق هذا الاسم « الاسلام هو الخضوع الاختياري لله رب العالمين ومظهره الانقياد لشرع الله الذي أوحاه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بتبليغه إلى الناس » .

التعريف الثالث

٧ – الاسلام هو النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للانسان التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من ربه وأمره بتبليغها إلى الناس ، وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب أو عقاب قال تعالى : **((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين))** فالدين هنا يتضمن المعاني التي ذكرتها ويستلزم غيرها ،وهي بمجموعها تعني الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من رب العالمين .

---

(٢) آل عمران/١٩

(٣) آل عمران/٨٥

(٤) لقمان/٢٢

(٥) البقرة/١٣٢ ، ١٣٣

(٦) المائدة/٣

التعريف الرابع

٨ – الاسلام هو مجموع ما انزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من احكام العقيدة والاخلاق والعبادات والمعاملات والاخبارات في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وقد امره الله بتبليغها إلى الناس قال تعالى : « **يا ايها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ...** »(٧) وما انزله الله عليه هو القرآن والسنة وفيهما جميع الأحكام التي ذكرناها ، وهي دين الله ، وهو الاسلام .

التعريف الخامس

٩ – الاسلام هو الأجوبة الصحيحة الحقة لثلاثة اسئلة شغلت عقول البشر في القديم وفي الحديث ، وترد على فكر كل إنسان كلما خلا بنفسه وسرح خواطره في امور الحياة ، او شيع ميتاً او شاهد قبوراً .. هذه الاسئلة هي :

من اين جئنا ؟
ولماذا جئنا ؟
وإلى اين المصير ؟

والاجوبة الصحيحة لهذه الاسئلة التي اخبر بها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم تكون بمجموعها وتفصيلاتها الاسلام :

١٠ – فعن السؤال الأول يقول الله تعالى :

« **يا ايها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ..** »(٨) .

« **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفةعلقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً**

---

(٧) المائدة/٦٧
(٨) الحج/٥ .

فكسونا العظام لحماثم إنشاناه خلقاً آخر، فتبارك الله احسن الخالقين»(٩).

« الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون »(١٠) .

« هل اتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . إنا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً »(١١) .

« فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب »(١٢) .

فهذه الآيات الكريمة وامثالها في القرآن الكريم تبين ان الانسان لم يكن شيئاً ، كان معدوماً ، فخلقه الله تعالى من تراب ثم جعل نسله من ماء مهين على النحو المذكور في هذه الآيات ، فمن جهة خلق الانسان الأول وهو آدم عليه السلام كان خلقه من طين او تراب ومن جهة خلق نسله وذريته كان خلقه من **« نطفة من مني يمنى »(١٣)** اي من الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب .

١١ – وعن السؤال الثاني : يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »(١٤) والعبادة تتضمن معرفة الله ومحبته والخضوع له واتباع مناهجه التي وضعها للانسان لتكميل نفسه ورفعها إلى المستوى اللائق بها والمستعدة له ، ليظفر بالسعادة الحقيقية هنا وهناك في الدنيا والآخرة . فالانسان خلق لعبادة الله بمعناها الواسع كما سنذكر فيما بعد .

---

(٩) المؤمنون/١٢ ، ١٣ ، ١٤ .
(١٠) السجدة/٧ ، ٩ .
(١١) الانسان/١ ، ٢ .
(١٢) الطارق/٥ ، .
(١٣) القيامة/٣٧
(١٤) الذاريات/٥٦

المحاضرة الثانية

١٢ – وعن السؤال الثالث : يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

« يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه »(١٥) .

« الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون »(١٦) .

« .. ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون .. »(١٧) .

« وأن إلى ربك المنتهى »(١٨) .

« إن إلى ربك الرجعى »(١٩) .

فهذه الآيات الكريمة تبين مصير الانسان بعد موته وهو رجوعه إلى خالقه لمجازاته على أعماله في الدنيا ، وادخاله الدار التي تلائمه ، فان كان قد زكى نفسه بعبادة الله وصار من الطيبين فنزله في دار الطيبين – الجنة – وإن كان قد دنس نفسه ولوثها بأقذار المعصية وأبقى خبثها فنزله في دار الخبيثين – جهنم – ، كما سيأتي بيان ذلك فيما بعد .

التعريف السادس

١٣ – الاسلام هو الروح الحقيقية للانسان والنور الهادي له في درب الحياة والشفاء الكافي الوافي لأمراض البشرية والصراط المستقيم الذي لا يضل من سلكه وسار فيه ، قال تعالى : **« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور »(٢٠) .**

---

(١٥) الانشقاق/٦

(١٦) الروم/١١

(١٧) الزمر/٧

(١٨) النجم/٤٢

(١٩) العلق/٨

(٢٠) الشورى/٥٢

وقال تعالى « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** »(٢١) « **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** »(٢٢) .

ومن الواضح أن هذا التعريف تعريف للاسلام ببعض صفاته اللاصقة به التي لا تنفك عنه ، وعلى هذا يمكن تعريفه بذكر أوصافه الأخرى كان نقول الاسلام هو دين الفطرة لقوله تعالى « **فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون** »(٢٣) . كما يمكن أن نقول في تعريفه : الاسلام دين التوحيد ، أو دين العلم ، أو دين العدل ، لأن فيه هذه المعاني على أتم الوجوه ويدعو إليها ويؤكد عليها . . .

تعاريف اخرى للاسلام

١٤ – ومما تجب ملاحظته أن ما ذكرناه من تعاريف متنوعة للاسلام إنما هو على سبيل التمثيل لا الحصر إذ يمكن الاتيان بتعاريف اخرى بعبارات متنوعة ولا مانع من ذلك بشرط أن يكون مضمون التعريف صحيحاً ومنطبقاً على معنى الاسلام وان تكون الفاظ التعريف واضحة صحيحة لا لبس فيها ولا غموض ولا اشتباه .

لا تناقض ولا اختلاف

١٥ – وملاحظة ثانية ، ان هذه التعاريف التي ذكرناها كلها صحيحة ولا تناقض فيما بينها ولا اختلاف لأن كل واحد منها يستلزم أو يتضمن ما في التعريف الآخر . ان الاختلاف فيما بينها هو اختلاف في الالفاظ لا في المعاني التي يبرزها هذا التعريف دون ذاك ، وهذا القدر من الاختلاف لا يؤثر في وحدة مضمون التعاريف ودلالتها على معنى الاسلام صراحة أو بالتضمن والاستلزام كما قلنا .

المقصود من تعدد التعاريف

١٦ – والغرض الذي نقصده من إيراد التعاريف المتعددة للاسلام

---

(٢١) الاسراء/٨٢

(٢٢) فصلت/٤٤

(٢٣) الروم/٣٠

هو أن يجد الداعي بين يديه جملة من التعاريف يستطيع أن يختار منها ما يناسب حال المدعو من جهة مدى فهمه وثقافته وعلمه وسلامة فطرته ونوع الشبهات التي غشيت قلبه والمعاني التي هو بحاجة إلى معرفتها عن الاسلام اكثر من غيرها . فالشخص الحائر الذي قرأ ما يسمى بالفلسفة فاشتبهت عنده الامور يناسبه إذا سئل عن الاسلام ان يجاب بالتعريف الخامس وهو أن الاسلام هو الأجوبة الحقة الصحيحة لما يرد على ذهن الانسان من اسئلة : من اين جئنا ، ولماذا جئنا ، وإلى أين المصير والتي بلغها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس . والمشتغل بالأمور القانونية والعلوم الاجتماعية يناسبه عندما يسأل ما هو الاسلام ، ان يجاب بالتعريف الثالث . وغير المسلم إذا دعي إلى الاسلام وسئل عنه يجاب بالتعريف الأول : الاسلام ان تشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله . . الخ .

التعريف المختار

١٧ – والتعريف الذي نختاره ونجعله اساساً لبيان اركان الاسلام هو التعريف الأول الذي ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل ، وقد ذكرناه سابقاً ، وهو يتضمن جميع ما في التعاريف الأخرى من معان .

المحاضرة الثالثة

الفصل الثاني

أركان الإسلام

تمهيد

١٨ ــ ذكرنا حديث جبريل وفيه جواب النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام بانه « الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا » . وعلى هذا فأركان الاسلام، في ضوء هذا الحديث الشريف، ثلاثة : (الأول) شهادة ان لا إله إلا الله (الثاني) شهادة أنمحمداً رسول الله (الثالث) العمل الصالح وفي ذروته الصلاة والزكاة والصوم والحج وإنما ذكرت هذه الاربعة لاهميتها وللتنبيه إلى ضرورة العمل الصالح للمسلم وانه لا يكفي التلفظ بالشهادتين بل لا بد من العمل بمضمونهما . فلا بد من الكلام عن هذه الاركان الثلاثة ، وعلى هذا نقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث ونخصص لكل ركن مبحثاً على حدة .

المبحث الأول

الركن الاول

شهادة ان لا إله إلا الله

معنى الشهادة

١٩ – الشهادة تعني العلم والاعلام والاخبار والبيان ولهذا سمي الشاهد شاهداً لأنه يخبر بما علم . والبيان والإخبار كما يكون بالقول يكون بالفعل ، فمن الشهادة بالفعل قول الله تعالى « **ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر** »(٢٤) فهذه شهادة منهم على انفسهم بما يفعلونه اي : ان افعالهم بينت واظهرت انهم كفرة .

وتتضمن كلمة الشهادة الإقرار والاعتراف والاعتقاد فان الشاهد يعتقد صحة ما يشهد به ويخبر عنه ، فاذا شهد بما لا يعتقده كانت شهادته كاذبة لأن إخباره لا يطابق اعتقاده . قال تعالى « **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** »(٢٥) فهم كاذبون لانهم لا يعترفون بصحة ما يقولون ولا يعتقدون ما يقولون .

فكلمة (أشهد) اذن تدل على معنى العلم والمعرفة والبيان وتتضمن معنى الاقرار والاذعان والاعتقاد .

معنى الاله

٢٠ – اما كلمة « إله » فيراد بها المعبود ، وهي تستعمل بمعنى المعبود بحق او بباطل ، وبهذا المعنى وردت في قوله تعالى « **افرأيت من اتخذ إلهه هواه** » (٢٦) كما تستعمل بمعنى المعبود الحق وبهذا المعنى وردت في قوله تعالى : « **فاعلم انه لا إله إلا**

---

(٢٤) التوبة/١٧

(٢٥) المنافقون/١

(٢٦) الجاثية/٢٣

الله واستغفر لذنبك)) (٢٧) وبهذا المعنى ايضاً وردت في قوله عليه الصلاة والسلام « أن تشهد أن لا إله إلا الله » .

معنى كلمة التوحيد

٢١ – وعلى هذا يكون معنى كلمة التوحيد – اشهد ان لا إله إلا الله – اني اعلم واقر واعترف واعتقد بأن المعبود الحق الذي لا يستحق العبادة غيره هو الله تعالى ، وان ابين ذلك واظهره بلساني وافعالي وسلوكي .

هذا ، وان افراد الله تعالى بالعبادة ، وهو الذي يسمى بتوحيد الالوهية ، يتضمن توحيد الربوبية ومعناه الاعتقاد بأن الله تعالى وحده هو رب العالمين ، فصار عندنا التوحيد نوعين (١) توحيد الالوهية . (٢) توحيد الربوبية .

اولا – توحيد الالوهية

٢٢ – توحيد الألوهية هو الذي بعث الله به جميع رسله قال تعالى **((وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه انه لا إله إلا انا فاعبدون))**(٢٨) وقال تعالى **((ولقد بعثنا في كل امة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت))**(٢٩) ..

وقال تعالى **((ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره افلا تتقون))** (٣٠) .

وقال تعالى **((وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره افلا تتقون))**(٣١) .

٢٣ – والعبادة لله تقوم على الحب الخالص لله مع الذل الكامل له ، ومظهر ذلك توجه العبد إلى الله تعالى بالتوكل عليه والثقة به والخوف منه والإنابة إليه والطلب منه والأنس بذكره والفرار اليه ونشاط الجوارح بتنفيذ شرعه واقامة دينه والانصباغ بصبغته وايثار محبته وطاعته ، وجعل السلوك والاقوال والأفعال وسائر الاحوال على

---

(٢٧) محمد/١٩

(٢٨) الانبياء/٢٦

(٢٩) النمل / ٣٦

(٣٠) المؤمنون / ٢٣

(٣١) الاعراف / ٦٥

المحاضرة الرابعة

الوجه المرضي عند الله ، وبهذا كله يحقق المسلم معنى اشهد ان لا إلـه إلا الله بالقـول والعمل فيكون صادقاً في شهادته .

٢٤ – وتزداد معاني العبودية ويرسخ اصلها ويعظم اثرها بقدر علم العبد بمـدى فقره وحاجته إلى الله وعدم استغنائه عنه طرفة عين ، ويزداد حب العبد لله وخضوعه له بقدر معرفته بكمال الله وعظيم نفعه ونعمه عليه ، وتفكره في آلائـه التي لا تعـد ولا ولا تحصى **« وما بكم من نعمة فمن الله »** وفي تفكره في صفاته ومعاني اسمائه الحسنى .

٢٥ – وبقدر امتلاء القلب بمعاني العبودية يحترز من عبودية غير الله تعالى حتى يصبح عبداً خالصاً لله وهذه أسمى درجة ينالها الانسان ولـذلك وصف الله تعالـى رسوله الكريم بوصف العبودية في ارفع منازله ، وصفه بها في مقام تنزل الوحي عليه ، وحين الدعوة إليه ، وحين اسري به صلى الله عليه وسلم وعرج بـه إلى السماء ، قال تعالى **« فاوحى إلى عبده ما اوحى »** **« وانه لما قام عبد الله يدعـوه كادوا يكونون عليـه لبداً »** **« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى »** .

ثانيا – توحيد الربوبية

٢٥ مكرر – كلمة الرب تدل على جملة معاني منها السيد ومالك الشيء وموجده والمتصرف فيه، والمربي لغيره والمتكفل بمصلحة الانسان، وصاحب السلطان والسيادة النافذ امره في غيره . ومعاني الربوبية هذه وما تتضمنه أو تستلزمه من معاني اخرى لا يوصف بها ولا يملكها على وجه الحقيقة والكمال إلا الله تعالى، واما غيره فهو مربـوب لله وإذا وجد فيه شيء من معاني الربوبية فعلى وجه المجاز والعارية ، فان كل ما سوى الله مخلوق لله ، منه يستمد وجوده وبقاءه ، وكل ما عنده من صفات الكمال المناسبة للمخلوق ، فالله تعالى هو رب العالمين على وجه الحقيقة ، فلا رب سواه ، فهو الخالق المحيي المميت النافذ امره وحكمه في جميع خلقه ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير، يتصرف في الكون كما يشاء لا معقب لحكمه ولا لتصرفه ، وهو القائم على شؤون خلقه والمتكفل بما يصلحهم ، وهو القادر على النفع والضرر ، إذا اراد نفـع احـد فلا راد لفضله ، وإن اراد بأحد غير ذلك فلا مانع له من ذلك قال تعالـى **« وإن يمسسك الله**

---

(٣٢) الانعام /١٧

يضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله »(٣٢) فالله تعالى هو المتفرد بالعطاء والمنع والنفع والضر ، وكل ما عدا الله فإنه فقير إليه محتاج إليه « **يا أيها الناس انتم الفقراء إلى الله** » فالفقر وصف ذاتي لكل مخلوق كما أن الغنى وصف ذاتي لله رب العالمين :

دلائل توحيد الربوبية

٢٦ – والدلائل الدالة على ربوبية الله وتفرده بها وعدم مشاركة احد له فيها كثيرة جداً ، فما من شيء في الكون من اصغر ذرة إلى اكبر جرم الا وهو يشهد ان الله هو رب العالمين وبالتالي فهو الإله الحق للعالمين .. إن هذا الكون العجيب الغريب المتناسق المنظم يقول بلسان الحال : إن له خالقاً عظيماً هو الله تعالى ، وإن العقل السليم لا يمكنه اصلا ان يتصور ان هذا الكون وجد بلا موجد وحدث بلا محدث ، فان قبول هذا التصور مخالف لاي عقل سوي . ان عقولنا تأبى قبول قول من يقول : إن هذا حدث (صدفة) بأن اثرت الأمطار في جبل فحفرت فيه حفراً صارت غرفاً ، وان عقلنا يرفض من يزعم ان هذا الكتاب حدث بفعل تجمع الحديد وانصهاره بفعل النحارة ثم تشقق الحديد المنصهر فصار حروفاً ثم تجمعت الحروف ووقعت عليها مادة سوداء ثم حصلت عجينة الخشب بسبب سقوط الأشجار وبفعل الأمطار ثم جفت وصارت صحائف فجاءتها ريح وضعتها على الحروف ثم ان هذه الحروف انطبعت على الصحائف بعد تغير ترتيبها بعد طبع كل صحيفة بفعل الرياح .. ان هذا الكلام لا يصدقه عاقل، فكيف يصدق ان هذا الكون الهائل وهذا الانسان العجيب ، وهذه المخلوقات الغريبة من حيوان ونبات كل ذلك حدث صدفة بلا موجد ولا مدبر ولا منظم ، ان هذا شيء لا يمكن قبوله ابداً . اذكر ان احد الطلاب سألني لماذا لا يمكن ان يوجد هذا العالم صدفة بفعل المادة ؟ فأجبته انظر إلى هذه السبورة وهي امامك ، – وكان عليها بعض الكتابات – لو قال انسان : إن هذه الأسطر على السبورة لم يكتبها كاتب وإنما حدثت صدفة بأن حملت الرياح ذرات التراب ودخلت بها من نوافذ الغرفة واسقطتها على السبورة فظهرت بشكل كلام مفهوم مكونا هذه الأسطر ، ايمكن لعاقل ان يصدق هذا القول ؟ فقال لا ، قلت فاذا كان هذا غير مقبول ويرفضه العقل ، وهو شيء بسيط وتافه للغاية فكيف يمكن لعقل سليم ان يصدق ان المادة الصماء العمياء ابدعت هذا الكون او ان هذا الكون بكل ما فيه انبثق من هذه المادة ؟ ولهذا فإن الإقرار بربوبية الله وانفراده بها امر شائع عند البشر ومركوز في فطرة كل انسان ، ويعترف به حتى

المشرك ، قال تعالى « **ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون** »(٣٣)و قال تعالى « **ولئن سالتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم** »(٣٤) .

القرآن الكريم وتوحيد الربوبية في النفوس

٢٧ – والقرآن في آياته يذكر الناس بما هو مركوز في فطرهم ويقرره وهو ان الله وحده هو رب العالمين ، قال تعالى : « **قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والأرض** »(٣٥) ومن انكر وجود الخالق عز وجل بلسانه فانه مستيقن في باطنه بوجود الله تعالى، قال تعالى مخبراً عن امثال هؤلاء الجاحدين المنكرين « **وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلوا** »(٣٦) فالانكار والجحود من البعض لوجود الخالق هو انكار وجحود محض على وجه المكابرة والعناد ولا يعني خلو فطرة الانسان من الاحساس العميق بوجود الخالق ، ولهذا إذا زالت الغشاوات عن فطرة الإنسان وزالت مكابرته وعناده فإنه يجد نفسه بلا اختيار منه متوجهاً إلى الله هاتفاً بلسانه مستنجداً به بكل كيانه . اذكر اني قرات في مجلة كانت تصدر في ايام الحرب العالمية الثانية حديثاً لصحفي اجراه مع احد الطيارين وقد سأله الصحفي عن احرج الساعات التي مرت به في اثناء قيامه بواجبه وما كان شعوره في تلك الساعة الحرجة فاجابه الطيار بانه نشأ في بيت ليس فيه ما يذكره بالله ، فقد كان ابوه ملحداً ونشأه على الالحاد وكذا كان اخوته وعند انخراطه بسلك الطيران استمر في الحاده وانكاره لكل شيء عدا ما يراه بعينه ويلمسه بيده وفي اثناء قيامه بأعماله الحربية احس ان طائرته توشك ان تسقط وان الهلاك محتم فان لم يهلك بسقوط الطائرة فانه سيهلك على يد العدو إذا وصل إلى الارض سالماً . قال الطيار ، في تلك الساعة الحرجة لم افكر في شيء على الأرض من اهل او قريب او صديق او زوجة ، وانما رايت نفسي وبلا شعور مني متوجهاً الى الله تعالى هاتفاً باسمه طالباً العون منه وهكذا كان فقد نجوت باعجوبة والفضل في ذلك لله وحده الذي لم افكر فيه قط منذ ثلاثين سنة وهي عمري الآن . إن هذه القصة صحيحة على ما اعتقد إذ لا داعي لتلفيقها ، بل وإنها تتكرر في كل يوم مئات المرات باشكال اخرى . إن الانسان الغافل الناسي الذي لا يخطر بباله

---

(٣٣) الزخرف /٨٧

(٣٤) الزخرف /٩

(٣٥) ابراهيم /١٠

(٣٦) النمل /١٤

المحاضرة الخامسة

الله تعالى ، يجد نفسه مدفوعاً إلى التوجه إلى الله تعالى كلما المت به مصيبة او وجد نفسه في ضيق ، فالمريض الراقد في سريره أو في غرفة العمليات ، وراكب الطائرة الذي يخبره قائد ها ان خطراً يواجه الطائرة هؤلاء لا يفكرون في تلك الساعة بشيء ولا يخطر ببالهم شيء سوى الله تعالى ، به يستجيرون واليه يتوجهون . وصدق الله العظيم إذ يقول مخبراً عن المشركين : **« وإذا غشيهم موج كالظل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون »(٣٧) .**

ان مسألة وجود الله من البدهيات التي لا توجد بدهية مثلها في الوضوح والظهور، بل نقول إذا لم تصح هذه المسألة في العقول فلا يمكن مطلقاً أن تصبح مسألة اخرى غيرها ، فليس هناك شيء عليه من الادلة من حيث الكثرة والتنوع مثل مسألة وجود الله تعالى .

توحيد الربوبية يستلزم توحيد الالوهية

٢٨ – وتوحيد الربوبية ، وافراد الله تعالى بجميع معانيها ، يستلزم قطعاً توحيد الالوهية اي افراد الله بالعبادة وانه وحده هو المعبود الحق الذي لا يستحق غيره ذرة واحدة من العبادة ، ولهذا يذكر القرآن المشركين بربوبية الله وانفراده بها وانها تستلزم توحيده في الالوهية ، وهذا مسلك سديد واضح جلي لا يجوز اغفاله والاستعاضة عنه بمسالك ملتوية غير مجدية ، فمن هذه النصوص القرآنية قوله تعالى **« أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون »(٣٧) « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون »(٣٨) يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب »(٣٩) .**

فهذه الآيات تذكر المشركين بحقيقة واضحة وهي ان معبوداتهم من دون الله عاجزة لا تستطيع خلق شيء ولو ذبابة وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستطيعون

---

(٣٧) لقمان /٣٢

(٣٧) الاعراف /١٩١

(٣٨) النمل /١٧

(٣٩) الحج /٧٣

تخليصه منه ، فكيف يجوز في العقل السليم ان يعبد غير الله ويسوى مع الله في العبادة وهو الخالق وحده وما سواه عاجز ضعيف مخلوق ؟.

ويحاجج القرآن المشركين ذاكراً لهم ان ما يعبدونهم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا يشاركون الله تعالى في ذرة في السماوات ولا في الأرض ، وليس لله بمعبوداتهم الباطلة حاجة ولا اي عون ، واذا كان الأمر كذلك كما يرون فيجب عليهم اخلاص العبادة لله تعالى . قال الله تعالى :

« قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير »(٤٠) .

والقرآن يقرر بعض الحقائق التي يعترف بها المشركون وهي ان الله هو مالك السماوات والأرض والمتصرف فيها وهو الذي يجير المستجيرين به ، فيجب إذن ان يعبدوا الله دون غيره ، قال تعالى :

« قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل افلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فانى تسحرون . بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون »(٤١) .

العلوم الحديثة وعقيدة التوحيد

٢٩ – والعلوم الحديثة المتعلقة بالكون ، وبالذرة او بالإنسان او بالنبات ، وبالصناعات ، والكشوف الحديثة والمخترعات الحديثة ، كل هذه تقوي عقيدة التوحيد وتزيد ايمان المؤمن لانها تكشف عن دقة نظام الكون وعجائب خلق الله ولطائف صنعه الدالة على عظمته وواسع قدرته وعلمه ، فإن دقة المصنوع تدل على عظمة الصانع وان وراء هذه الصنعة البديعة والنظام الدقيق خالق عظيم ، وصدق الله العظيم إذ يقول **« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق »(٤٢) . « وفي انفسكم افلا تبصرون »(٤٣) .**

---

(٤٠) سبأ /٢٢

(٤١) المؤمنون /٨٥ – ٨٩

(٤٢) فصلت /٥٣

(٤٣) الذاريات /٢١

مكانة التوحيد في الاسلام

٣٠ ـ التوحيد في الاسلام هو كل الاسلام ، والقرآن كله يدور حول التوحيد ، فآيات القرآن إما إخبار عن الله وصفاته وخلقه وافعاله وتدبيره ، وإما امر ونهي وهما من لوازم ربوبيته وقيوميته على خلقه ، وإما بيان للثواب بأنواعه ، وهو جزاء من اطاعه واتبع رسله الذين ارسلهم بشريعته القائمة على توحيده في الألوهية والربوبية ، وإما بيان للعقاب بأنواعه وهو جزاء المخالفين لشرعه ، وإما إخبار عن احوال المكذبين الماضين وهو بيان لمن خرج عن مقتضى توحيده وعبادته .

فالتوحيد هو لب الاسلام واساسه ومنه تنبثق سائر نظمه واحكامه واوامره ومناهجه ، وكل ما فيه عبادات واحكام يرسخه ويقويه ويثبته في قلوب المؤمنين .

* * *